

دعوى ضعف حديث علي رضي الله عنه :

«والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلي: أن لا يحبني

إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»

قرأت لأحد المتسورين على علم الحديث ما كتبه في تضعيف حديث في (صحيح مسلم) من حديث عدي بن ثابت ، عن زر بن حبيش ، عن علي رضي الله عنه أنه قال : «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلي: أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق».

وادعى أن الإمام مسلماً لم يصححه ، وأنه إنما أخرجه لبيان علته ، وأن الدارقطني ضعفه أيضاً ، وأن الإمام الذهبي قد استشكل معناه ! وأن ابن تيمية ضعفه بقوله في منهاج السنة : «فإن هذا من أفراد مسلم، وهو من رواية عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش عن علي ، والبخاري أعرض عن هذا الحديث، بخلاف أحاديث الأنصار».

وقبل الجواب عن هذه الأوهام ، فإن من قلة الأمانة وضعف الديانة : أن هذا المتهور المتبع للهوى لم يُشر إلى أن هذا الحديث قد صححه جمعٌ من الأئمة والحفاظ مع الإمام مسلم :

١- فقد صححه الإمام الترمذي في جامعه .

٢- وصححه النسائي بإخراجه والتبويب له وعدم إعلاله ، على ما عُرف من منهجه وما نص هو عليه منه . فأخرجه في (باب علامة الإيـان)، وفي (كتاب خصائص علي رضي الله عنه) ومرة بوب له بقوله : (الفرق بين المؤمن والمنافق).

٣- وبهذا الحديث ضعف أبو العرب التميمي (ت ٣٣٣هـ) إسحاق بن سويد العدوي لنصبه ، ولولا صحته عنده ما ضعفه به .

٤- وصححه ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) في صحيحه .

٥- وصححه الآجري (ت ٣٦٠هـ) بقوله في الشريعة : «إنه من أبغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم تنفعه محبة أبي بكر وعمر وعثمان ، بل هو عندنا منافق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» .

هذا مذهبنا وبه ندين الله عز وجل ، وبه نأمر إخواننا». وبقوله في موطن آخر : «قد ذكرت من خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخليفة الرابع ما فيه الكفاية لمن عقل؛ ليزيد المؤمنين محبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي لا يحبه إلا مؤمن أولاً يبغضه إلا منافق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم».

٦- وصححه ابن شاهين (٣٨٥هـ) في كتابه السُّني (شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن)، حيث عقد باباً لفضل علي رضي الله عنه ، فقدّم فيه هذا الحديث ، وقال عقبه : «تفرد بهذه الفضيلة علي بن أبي طالب، لم يشركه فيها أحد»، وهذا كلام من يصحح الحديث .

٧- وصححه الجوزقي (ت٣٨٨هـ) في كتابه (الصحيح من الأخبار المجتمعة على صحّته)، ولم يعده مما أخرجه مسلم لبيان علته .

٨- وصححه أبو نعيم الأصبهاني بقوله في (الحلية : ٤ / ١٨٥) : «صحيح متفق عليه»، وهو يقصد بالاتفاق عليه الاتفاق على شرطه .

٩- وحكم بثبوته البيهقي في (الاعتقاد : ٤١٦) .

١٠- وصححه ابن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ) بقوله في رسائله (٣ / ٢١٥) : «فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، انه قال : " لا يبغضه إلا منافق "».

١١- وصححه البغوي (ت٥١٦هـ) بقوله عقبه : «هذا حديث صحيح أخرجه مسلم».

١٢- وصححه ابن عساكر في معجم شيوخه (رقم ١٥٥٩).

١٣- وصححه ابن تيمية ، كما سيأتي .

١٤- وصححه الذهبي كما سيأتي .

١٥- وصححه بدر الدين ابن جماعة (٧٣٣هـ) وأبو حيان النحوي المفسّر (ت٧٤٥هـ) في

ظاهر قصة أوردتها الصفدي وغيره في ترجمة أبي حيان ، قال كمال الدين الأدفوي:

((حُكي لي أنه قال لقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة إن علياً - رضي الله عنه - عهد

إليه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق أتراه

ما صدق في هذا؟ فقال: صدق (...)).

١٦- وصححه ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) في (مناقب الأسد الغالب).

١٧- وصححه ابن الوزير (ت ٨٤٠هـ) في العواصم والقواصم ، فقدمه بقوله : «صح وثبت»، وختمه بقوله : «وهذا إسناد صحيح على شرط أئمة الحديث وأئمة الإسلام كلهم خرجوا حديث رواه».

١٨- وحكم الحافظ ابن حجر بثبوته في (فتح الباري : ١ / ٦٣) وفي (النكت على صحيح البخاري) .

وقد عد جماعة من أئمة السنة : حب علي رضي الله عنه من شعب الإيمان بهذا الحديث ، وهذا يعني تصحيحهم معناه في أقل تقدير ، ومنهم :

١- ابن أبي عمر العدني (ت ٢٤٣هـ) في كتابه (الإيمان).

٢- واللالكائي (ت ٤١٨هـ) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، فذكر هذا الحديث للشعبة رقم خمسين من شعب الإيمان .

٣- وابن هبيرة الحنبلي (ت ٥٦٠هـ) في كتابه (الإفصاح)، وهي الشعبة الثالثة والخمسون عنده ، ولم يورد في إثبات هذه الشعبة غير هذا الحديث .

٤- وابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) في شعب الإيمان ، وهي الشعبة الثانية والعشرون ، ثم أورد هذا الحديث وحده .

هؤلاء جميعاً على تصحيح الحديث ، ولم يضعفه أحد سواهم ، حتى جاء صاحب الجهل والهوى فادعى ضعفه ، وزعم لذلك استدلالاً تافهة وتعليلاً جاهلة ، لكنني سأقف مع بعض دعاواه ليُعلم مقدار جهله :

زعم أن الإمام مسلماً أخرج في آخر الباب لبيان علته .

وهذا صنيع من تلقف كلمة بلا فهم ، فلما قرأ أن الإمام مسلماً ربما أخرج الحديث لبيان علته ، وأنه ربما قدم الصحيح وآخر المعلل : ظن هذا مما يبيح لمثله العبث بصحيح مسلم تضعيفاً بهواه ، ودون إدراك حقيقة مذهب مسلم !

ولندع مذهب مسلم ومنهجه في الإعلال الذي يجهله هذا المتهور ، ولننظر في هذا الحديث:
أين أخرجه مسلم ؟

لقد أخرجه الإمام مسلم في كتاب (الإيمان)، ليبين شعب الإيمان ، ولم يذكره في فضائل الصحابة ، وفي فضائل الأنصار مثلاً ، ثم في آخر الباب أورد حديث علي رضي الله عنه ، ليتمكن ادعاء أنه أخرجه لبيان علتة ، بقرينة إخراجة في غير بابه ، وبعد حديث آخر قريب اللفظ منه ورد في الأنصار رضي الله عنهم .

فالإمام مسلم كان في سياق ذكر شعب الإيمان ، ولذلك ذكر حديث الأنصار ، ثم أورد حديث علي رضي الله عنه عقبه ؛ لأنهما من شعب الإيمان ، وما زال العلماء يفعلون ذلك كالإمام النسائي وابن منده في الإيمان وابن كثير في شعب الإيمان له ، يذكرون الحديثين في شعب الإيمان ومتجاوزين غالباً لهذا السبب ، ليقولوا : من شعب الإيمان حب علي رضي الله عنه وحب الأنصار رضي الله عنهم .

وهذا ما فهمه العلماء من تصرف مسلم ، ولذلك أورد أبو عوانة في مستخرجه هذا الحديث ضمن عشرات الأحاديث تحت باب واحد هو : (بيان أن أعمال الخيرات كلها من الإيمان، والدليل على أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص).

ومما يفوت هذا المتهور أن الإمام مسلماً لم يترجم لأكثر الأبواب ، وإنما ترجم للكتب ، وأن جزمه هذا بأن مسلماً أخرج حديث علي في آخر الباب الذي في الأنصار من دعاوى تهوراته ؛ ولا دليل له عليه . ويؤكد ذلك أن النسخ الموثقة من صحيح مسلم قد فصلت حديث الأنصار بباب وحديث علي في باب آخر ، كما تجده في صحيح مسلم من طبعة دار التأصيل (١/ ٤٢٠ - ٤٢١)، حيث بينوا في الحاشية أن نسخة ابن خير الإشبيلي قد وضعت عنواناً خاصاً بالأنصار : (باب آية الإيمان حب الأنصار وبغضهم آية النفاق)، ثم بوبت لحديث علي بقوله (باب : لا يحب علياً إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق)، ولم يجعل حديث علي في هذه الطبعة وفي نسخة ابن خير ضمن باب الأنصار . ونسخة ابن خير من أفضل نسخ صحيح مسلم ، وهو من أعرف الناس بصحيحه .

وهكذا يتبين أن ادعائه بأن مسلماً أخرجه لبيان علتة كذب على مسلم ، أوقعه فيه الجهل والهوى .

ثم ادعى هذا المتهور أن الدارقطني قد ضعف الحديث ؛ لأنه أورده في كتاب (التتبع)!

وهذا هو شأن من لا يعرف من العلم إلا اسمه !

فليس كل ما أورده الدارقطني في التتبع مما يضعفه ، والدارقطني نفسه ينص على ذلك في مواطن عديدة من كتابه (التتبع)، لكن هذا المتهور ممن ظن العلم بسهولة قراءة عناوين الكتب، ثم التجرؤ على العلوم !

والدارقطني عندما أورد هذا الحديث في التتبع قال : «وأخرج مسلم: حديث عدي بن ثابت: " والذي فلق الحبة " . ولم يخرج البخاري» .

هذا هو كل ما قاله الدارقطني في (التتبع).

فاعتبر هذا المتهور أن هذا يدل على إعلال الدارقطني للحديث ، بل توهم أن هذا يدل على إعلال البخاري له أيضا !

وكل هذه أوهام مبنية على أوهام ! والحق على الضد من ذلك تماما .

ولذلك انظروا بماذا علق محقق كتاب الدارقطني (التتبع) وهو الشيخ مقبل الوادعي ، فقد قال في الحاشية : «وهذا أيضًا من الإلزامات ؛ لأن رجاله كلهم رجال الشيخين»، وكذلك فعل المحقق الآخر لكتاب التتبع في طبعته الجديدة وهو عصام الخزرجي ، فقال في حاشية تحقيقه : «مراد الدارقطني : إنما أراد تثبيت حديث عدي بن ثابت ، وكان على البخاري إخراج معناه» .

ولا شك أن هذا هو فهم من عرف كيف يتعامل مع الكتب إذا عرف مناهجها .

وهذا المنهج ليس غريباً على كتاب (التتبع) للدارقطني ، إنما هو غريب على الجاهل المتهور ، فانظروا ماذا قال الدارقطني عن حديث قبل هذا الحديث بقليل ، قال في التتبع : «وأخرج مسلم: حديث عبيدة، عن علي: " حديث المخدج " . وهو من أصح إسناد وأحسنه . رواه أيوب، وقتادة، وابن عون، ويونس، وهشام، وأبو عمرو بن العلاء، وعوف، وقرة، وجريز، والربيع بن صبيح، ومعاوية الضال، وجماعة . ولم يخرج البخاري، ولا عذر له في تركه» .

هل عرف هذا الجاهل أنني عندما أصفه بالجاهل فهو الوصف اللائق به !

وأما احتجاجه بقول ابن تيمية في منهاج السنة : «فإن هذا من أفراد مسلم، وهو من رواية عدي بن ثابت، عن زر بن حبیش عن علي ، والبخاري أعرض عن هذا الحديث، بخلاف أحاديث الأنصار»، فهو تمسك بخيط العنكبوت ، فكل من قرأ (منهاج السنة) يعلم أن ابن تيمية فيه كان في سياق ردّه على الرافضي ربما قال كلاما في سياق الجدل وإضعاف حجة الخصم ، حتى تلفظ بعبارات أوجبت على المعتذرين له أن يقولوا هذا عنه : أنه قالها في سياق الجدل والإلزام ، لا التقرير .

ثم العبارة ليس فيها تصريح بتضعيف الحديث ، ولا فيها أن مسلما أخرجه لبيان علته ، ولا أن البخاري ضعفه .. كل هذه أوهام التشهي والهوى .

ثم انظر ماذا قال ابن تيمية في منهاج السنة في موضع آخر (٨ / ٤٢٠) : «وأما مناقب علي التي في الصحاح فأصحها قوله: "يوم خير لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" ، وقوله في غزوة تبوك: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" ، ومنها دخوله في المباهلة وفي الكساء ، ومنها قوله: "أنت مني وأنا منك" ، وليس في شيء من ذلك خصائص. وحديث: "لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق" ، ومنها ما تقدم من حديث الشورى وإخبار عمر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - توفي وهو راض عن عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن».

فها هو ابن تيمية يورد حديث مسلم ضمن سياق أصح ما ثبت من مناقب علي رضي الله عنه !

فهل بقي لهذا المتبع لهواه من حجة ؟!

وأما ادعاؤه أن الإمام الذهبي باستشكاله الحديث كأنه يشير إلى علته المتنية : فهو افتراء على الإمام الذهبي ، فقد قال الذهبي في السير : «وقد جمعت طرق حديث الطير في جزء ، وطرق حديث: (من كنت مولاه) وهو أصح ، وأصح منها ما أخرجه مسلم عن علي قال: إنه لعهد النبي الأمي - صلى الله عليه وسلم - إلي: (إنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق). وهذا

أشكل الثلاثة فقد أحبه قوم لا خلاق لهم، وأبغضه بجهل قوم من النواصب، فالله أعلم». فالذهبي نفسه يصرح هنا في هذا النص الذي يحتج به الجاهل بأن حديث صحيح مسلم أصح من الحديثين السابقين له ، والذهبي نفسه له جزء كامل في تصحيح حديث : «من كنت مولاه فعلي مولاه»، قال في مقدمته عنه : « مما تواتر وأفاد القطع بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قاله ، رواه الجرم الغفير والعدد الكثير من طرق صحيحة وحسنة وضعيفة ومطرحة ...»، وقال عنه في سير أعلام النبلاء (٥/ ٤١٦) : «الحديث ثابت بلا ريب»، وقال في موضع آخر من السير (٨/ ٣٣٥) عن أحد طرقه : «هذا حديث حسن ، عال جدا ، ومتنه فمتواتر»، وقال في تاريخ الإسلام (٢/ ٣٥٥) : « هذا حديث صحيح».

فإن كانت هذه رتبة حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» عند الذهبي ، فما هي رتبة الحديث الأصح منه عنده ؟!

اللهم ارحم هذه الأمة من أصحاب الجهل أدعياء العلم !
وأما استشكال الذهبي لمعناه ، فلا يدل على التضعيف ؛ إلا في فهم الضعفاء أمثال هذا المتهور ! لأن العلماء صنفوا في حل مشكل الحديث ، وما كان مجرد ورود الإشكال على فهم من ظاهر حديث عندهم سبباً للتضعيف ، وإلا لاعتبرنا كتب مشكل الحديث ومختلف الحديث كلها من كتب تضعيف الأحاديث !

ومع ذلك فهذا الذهبي نفسه قد فسر الحديث بتفسير يحل إشكاله عنده ، حيث قال في السير (١٢/ ٥١٠) : «فمعناه: أن حب علي من الإيمان ، وبغضه من النفاق ، فالإيمان ذو شعب ، وكذلك النفاق يتشعب ، فلا يقول عاقل : إن مجرد حبه يصير الرجل به مؤمناً مطلقاً ، ولا بمجرد بغضه يصير به الموحد منافقاً خالصاً . فمن أحبه وأبغض أبا بكر ، كان في منزلة من أبغضه ، وأحب أبا بكر ، فبغضهما ضلال ونفاق، وحبهما هدى وإيمان ، والحديث ففي (صحيح مسلم)».

فهل عرف متبع الهوى أنه ما بقي له من حجة !
ومن معاني الحديث الصحيحة التي بها شرح العلماء الحديث : أن من أحب علياً رضي الله

عنه لإيمانه وسابقته ونصره للنبي صلى الله عليه وسلم وللإسلام فهو من شعب الإيمان وعلاماته ، ومن أبغضه لتلك المناقب فلا شك أنه مبغض للإسلام ، فهو منافق كافر ولا شك . وهذا لئن صح في الأنصار وفي عموم الصحابة رضي الله عنهم ؛ إلا أن تخصيص علي رضي الله عنه بذلك يدل على مزيد اختصاص ، وربما كان النبي صلى الله عليه وسلم قد خصه بذلك لعلمه - بما علّمه ربه تعالى - بأنه سيعاديه أناس وسيبغضه أناس ، فأراد صلى الله عليه وسلم أن يطيب خاطره بذلك ، وأن يحث الناس على الالتفاف حوله .

المهم أن الحديث ليس مشكلا ؛ إلا إذا كان حديث « حب الأنصار آية الإيمان ، وبغضهم آية النفاق » مشكلا ، وما دام حديث الأنصار ليس مشكلا ، فكذلك هذا الحديث .

ثم كل هؤلاء الأئمة ممن صححه ومن عدّ حب علي رضي الله عنه خاصة من الإيمان لم يروا في متنه ما يدعو للشك في ثبوته ، مما يبين لك أنه لا يشك في ثبوته بدعوى إشكاله إلا مريض القلب بداء النصب ، أعاذنا الله تعالى من مرضه ، وسلك بنا مسالك أئمة السنة والدين في حب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه .